قراءة في كتاب: اللسانيات والعلوم المعرفية

آفاق بيمعرفية في دراسة اللغة والمعرفة والخطاب

الطالب الباحث: رشيد العمارتي

المغرب

المقدمة

تحديدا وبهذا المعنى، تتميز العلوم والمعرفية بسمتين جوهريتين (أبرامسن وبشتل)، 2012.

أ) المعرفية cognitivism: إذ غايتها الفهم النظري والإمبريقي للمعرفة. فقد انصبت الدراسة المعرفية على فهم الذكاء البشري (علم النفس المعرفي)، والحواسيب(الذكاء الاصطناعي). لكن اللغة شغلت موقعا مركزيا في العلوم المعرفية. مع التأثير الواضح للسانيات التوليدية الشمسكوية ومع تطور حقول العلوم المعرفية، تنوع مدلول مصطلح معرفي واتسع.

ب) البيتخصصية interdisciplinary: لقد كانت العلوم المعرفية نتيجة تعاون حقول متنوعة تجريبية وفلسفية. علوم الدماغ، وعلم النفس المعرفي، والذكاء الاصطناعي، واللسانيات وفلسفه الذهن وحقول أخر ى. وهكذا تجاوزت العلوم والمعرفية الحدود التقليدية للحقول المعرفية، وابتغت فهما دقيقا للظواهر الذهنية، إذا كان للتصور الذي بلوره تشومسكي للغة والنحو دور في تشكيل ركائز العلم المعرفي، من قبيل مفاهيم الحوسبة والتمثيل ونحو ذلك.

تناول غاليم طبيعة هذه العلاقة وموقع اللسانيات من العلوم المعرفية، من حيث هي علاقة قائمة في جوهرها على أن الملكة اللغوية المتميزة كباقي الملكات بمكونات ووظائف مخصوصة، ابنة بيئة معرفية أعم، منها يستمد وجودها وبها يحدد تميزها، هي بيئة الذهن الدماغ البشري المعرفية الشاملة. ومن ثم ينشأ ارتباط اللغة العفوي بالمعرفة، واندماج اللسانيات في العلوم المعرفية، بل اعتبارها علما معرفيا بحثا.

أما ألان روفري فإنه تحدث عن تصور شومسكي للملكة اللغوية من وجهة نظر أدنوية، حيث رسم الخطوط العريضة للمشروع التوليدي ومنظوره لملكة اللغة. وهكذا عمل على استكشاف تصور شومسكي لدور الملكة اللغوية في الاستخدام والاكتساب والتطور.

أما القسم الثاني من هذا الكتاب فقد خصصناه للعلوم المعرفية والدلالة المعرفية. في هذا الخصوص، يقدم بيتر كاردن فورز أساسيات الدلالة التصورية أوالمعرفية، حيث يميز بين مقاربتين للدلالة : إحداهما واقعية والأخرى معرفية، إذ يتعلق الفرق بينهما بطبيعة معاني الكلمات

من حيث هي ذوات. فمعنى العبارة، بحسب المقاربة الواقعية شيء موجود هنالك في العالم الخارجي. من جهة أخرى، تماثل المقاربة المعرفية معاني العبارات بالذوات الذهنية.

تم تناول بوتكلاي الروابط التداولية بين المقاربة اللسانية والمقاربة المعرفية. وبالنسبة إليه، لا يقتصر دور الروابط التداولية في إبراز بنية الخطاب ، والإسهام في اتساقه فحسب، ولكنه يكمن في في تيسير الكلفة المعرفية التي يبذلها المتلقي في فهم الخطابات وتأويلها. وقد استند الباحث إلى نظرية الملاءمة التي ميز – في اطارها – بين العبارات المفهومية التصورية والعبارات الإجرائية. فالأولى تحيل على مفاهيم وتصورات، والثانية ترمز معلومة عن الطرائق أو الإجراءات التي يتعين اتباعها في التعامل مع المعنى ومعالجة هذه التمثيلات التصورية. فإذا كانت الروابط تؤثر في شروط صدق الملفوظات التي ترد فيها فستعد مفهومية تصورية، وإلا، فهي إجرائية.

عن محددات العلاقة بين اللسانيات والعلوم المعرفية محمد غاليم

العلوم المعرفية ((cognitive science(s) اليوم حقل علمي واسع باختصاصات متعددة تشترك في دراسة مجمل تجليات الذكاء البشري من الإدراك إلى التفكير والانفعال إلى اللغة والعمل ومختلف حالات الذهن وعملياته التحليلية. وليس ما نسميه معرفة (cognition) سوى ممارسة هذا الذكاء. وبتعدد صور الذكاء تتعدد الاختصاصات التي تتقاطع في حقل العلوم المعرفية. كعلم النفس المعرفي وعلم الاجتماع المعرفي (بفروعهما وعلم الأعصاب المعرفي وعلوم الأحياء والفلسفة واللسانيات والأناسة المعرفية، وغيرها من العلوم التي تشترك كلها في دراسة طبيعة السلوك المعرفي الذكي، ابنة بيئة معرفية أعم، منها يستمد وجودها وبها يحدد تميزها، هي بيئة الذهن الدماغ البشري المعرفية الشاملة. ومن ثم نتناول المحددات المذكورة، باختصار، من خلال أربعة محاور مترابطة:

محور أول: نخصصه لبعض الأسس والمبادئ العامة التي يقوم عليها تصور اللغة وبناء النظرية اللسانية في الإطار المعرفي.

ومحور ثان: نوضح فيه بعض المتطلبات التي ينبغي ان تستجيب لها النظرية اللسانية لضمان اندماجها الطبيعي في العلوم المعرفية. وذلك من خلال تحديد مفهوم الكفاية المعرفية cognitive adequacy،

ومحور ثالث: نخصصه لمستويات الربط المعرفي التي توافق إنجاز المكونات الرئيسة لمشروع فهم القدرة اللغوية باعتبارها موضوعا للمعرفة العلمية،

ومحور رابع : نبرز فيه بعض مجالات دراسة تعالق ملكة اللغة وباقي ملكات الذهن الدماغ البشري. وأهمها مجالات الخصائص الصورية) أو التمثيلية، والنفسية / الوظيفية) أو التحليلية، والعصبية، والتطورية.

تقوم صلة اللسانيات بالعلوم المعرفية. مبدئيا، على اعتبار اللغة، وهي موضوع اللسانيات، بنية تمثيلية معرفية في أذهان المتكلمين. وهو اعتبار كان من أسس اللسانيات التوليدية الحديثة منذ تأسيسها في خمسينيات القرن العشرين. وعرف بالموقف الذهني النفسي. إلى جانب أساسين آخرين هما التأليفية والاكتساب، إضافة إلى مسألة التطور التي عودت الظهور في صيغة تزداد تقدما منذ تسعينيات الألفية الأولى وبدايات الألفية الثانية.

هكذا نعتبر النظرية اللغوية نظرية ذهنية/ نفسية .لأنها تفترض أن اللغة موضوع نفسي، وأن بناء التعابير اللغوية ليس إلا جزءا من العمليات النفسية أو الذهنية التي تقوم عليها مختلف القدرات المعرفية لدى الإنسان. فالهدف الذي تسعى إليه أي نظرية لغوية نفسية، ليس ربط اللغة بنموذج رياضي/ منطقي. كما في نظرية النماذج المنطقية النظرية (عند مونتيكيو) Montague 1974 وأتباعه مثلا، ولا ربطها مباشرة بالعالم، كما في النظريات البيئية (كدلالة الأوضاع مثلا)، وإنما هدفها أن توضح الكيفية التي ترتبط بها اللغة والعالم ببعضهما في الذهن البشري؛ لتبيان الصورة التي يتعالق بها التمثيل الذهني للجمل والتمثيل الذهني للعالم.

ونقصد بمصطلح الذهن هنا، تنظيم الدماغ ونشاطه الوظيفيين. فحين يستعمل علماء الأعصاب اليوم هذا المصطلح، فهم أساسا يختزلون به مجموع وظائف الدماغ، كما يؤكد كولب وويشو Kolb & Whishaw 2015. ولا يظهر في الوعي سوى جزء قليل جدا من نشاط الذهن، ويبقى جل هذا النشاط بمنأى عن الوعي.

واعتاد بعض الباحثين في مختلف العلوم المعرفية. من الجيل الاول على الخصوص، فهم مصطلحي وظيفة (أو ذهن) ودماغ بربطهما تباعا بمصطلحي برمجية وعتاد عند الحديث عن الحواسيب. لكن الجيل الثاني من علماء المعرفة حاول تبيانه قصور هذا الفهم وتجاوزه.

فقد اعتبر الجيل الأول من النظريات في العلوم المعرفية الذهن قائما على تمثيلات قضوية مجردة. فكان الذهن في هذا التصور مثل الحاسوب، يعالج المعلومات باستقلال كبير عن الأدمغة والأجساد والأنساق الحسية المخصوصة. فكانت هذه الفلسفة بتعبير ليكوف وجونسون (1999). فلسفة بدون لحم ودم. لم يكن هناك جسد في ذلك التصور للذهن.

وعلى العكس من ذلك، ترفض مقاربات الجيل الثاني نماذج الذهن السابقة التي تجعل هذا الأخير مقصورا إلى حد مبالغ فيه على تحليل المعلومات. وتنزل هذه المقاربات العمليات الذهنية، بدلا من ذلك منزلة تصلها بالظواهر الأحيائية التطورية (ومن أبرزها الجسد والممارسات الثقافية. ويمكن أن يعتبر مصطلح الجيل الثاني من العلم المعرفي مرادفا لمصطلح آخر يستعمله العلماء المعرفيون، هو: مقاربات-e (e-approaches) للمعرفة. وتشير e هنا إلى المقاربات (أو النظريات التي تعطي الأولوية لخصائص الذهني المتفاعلة (enactive)، والمتجسدة (embodied)، والموسعة (extended)، وكلها مصطلحات تبدأ بالحرفe. ويمكن أن يضاف إليها أيضا مصطلحا:

التجريبية(experiential),والعاطفية (emotional)، ما دام هذا الأنموذج الجديد يعطي للاستجابات التجريبية والعاطفية دورا في المعرفة أهم من الدور الذي أنيط بها لدى الجيل الأول الموصوف بتبني موقف معرفي حاسوبي.

ومن الخصائص الجوهرية التي تتفرد بها اللغة الطبيعية خصيصتها التأليفية، أي قدرة متكلميها على خلق عدد لا محدود من الأقوال وفهمها انطلاقا من التأليف بين عناصر محدودة العدد، تبعا لمبادئ معينة أو قواعد. وتعتبر هذه الخصيصة، المرتبطة بمفهوم النسق التوليدي من الخصائص الجوهرية في تصور النحو بمعناه الحديث، الذي انبنى على التطور الذي حصل في التقنيات الصورية لوصف القواعد وأنساق القواعد، والذي اشتق من العمل المتعلق بأسس الرياضيات خلال النصف الأول من القرن 20. بما في ذلك آلة تورينغ على الخصوص، وهي التقنيات نفسها التي قادت إلى تطوير الحاسوب.

وعندما نضع التأليفية في إطار الموقف الذهني من موضوع اللغة، تصبح المسألة كالتالي: بما أن عدد الأقوال الممكنة في اللغة الطبيعية عدد لا محدود، فإن مستعملي اللغة لا يمكنهم تخزين الأقوال في رؤوسهم، بل إن رصد المعرفة اللغوية بطابعها الابداعي يتطلب مكونين، الأول لائحة محدودة من العناصر البنيوية الصالحة للتأليف، وهي المسماة عادة معجما، والثانية مجموعة محدودة من المبادئ والقواعد للتأليف بين العناصر المذكورة. أو ما يسمى نحوا.

اللغة ابنة بيئتها المعرفية

(التوليدية) منذ نشأتها الأولى، كما ذكرنا، اعتبار اللغة، لكونها بنية تمثيلية معرفية في اذهان المتكلمين.

فبعد اقتصار تسويغ الافتراضات اللغوية، في كتاب البنى التركيبية لشومسكي الصادر سنة 1957، على حجج مستقاة من اللغات نفسها، وعلى اعتبارات نظرية كالاتساق الداخلي والبساطة. سرعان ما وجدنا، في السنوات التي تلت ذلك مباشرة، لجوءا متزايدا إلى إسناد معنى ومحتوى واقعيين لبناء نسق صوري لتمثيل قدرة المتكلمين اللغوية، وخاصة لتأويل انتقاء النحو الأمثل، عبر عمليات إبطال متعددة، باعتباره نظرية لاكتساب اللغة. فاكتسب تأويل النظرية، منذ الستينيات، مضمونا نفسيا واضحا، لتشهد بدايات السبعينيات تصورا، ما فتئ يتطور، يرجع البناء النظري والمبادئ الكلية التي تقيد طبقة الأنحاء الممكنة إلى واقع معرفي أحيائي. وذلك ما أصبح يعبر عنه مصطلح لسانيات أحيائية (Biolinguistics).

وتجدر الإشارة هنا إلى أن تشومسكي يرجع هذا المصطلح إلى بياتيلي- بلماريني ويؤرخ له بسنة 1974. بينما المصطلح أقدم من ذلك بكثير. فقد ظهر عنوانا لكتاب Handbook of biolinguistics الصادر في طبعة أولى سنة 1950 وفي طبعة ثانية مراجعة سنة 1962 (من منشورات هربرت ويلر Weller بالولايات المتحدة الأمريكية (توليدو، أوهايو)، لمؤلفيه ميدر وموشكنس C. L Meader

and J H Muyskens ميشغان، وكان المصطلح لعقود قبل صدور الكتاب اسما للقسم الذي يشتغل فيه المؤلفان بنفس الجامعة، ويدافع الكتاب عن تصور رائد قبل الأوان للسانيات الأحيائية، يعتبر دراسة اللغة (....) علما طبيعيا. ومن ثمة مجموعة منذمجة من العمليات الأحيائية (...) تبحث عن تفسير لكل الظواهر اللغوية في الاندماج الوظيفي بين الأنسجة العضوية والمحيط ... ويشير إيريك لينبرغ 1967. ص Eric Lennberg vii إلى أهمية هذا الكتاب، لكن شومسكي لا يذكره في تذييله لكتاب لينبرغ، ويبدو أنه لم يذكره قط ما دام قد أرخ للمصطلح بسنة 1974 وأسنده إلى بياتيلي – بلماريني كما أشرنا.

هكذا أصبحت دراسة الملكة اللغوية في إطار ما سمي لسانيات أحيائية (biolinguistics)، خاصة منذ بدايات السبعينيات كما قلنا، دراسة موضوع طبيعي يتجلى في قدرة معرفية تعتبر مكونا من مكونات الذهن / الدماغ الداخلية لدى الإنسان، وتتعلق بمعرفة اللغات الطبيعية واكتسابها واستعمالها

وتشمل دراسة الملكة اللغوية في هذا الإطار، إلى جانب العناية بالخصائص اللغوية، الاهتمام بالوجهات (interfaces) التي تربط الملكة اللغوية بأنساق إدراكية ومعرفية آخر ى بغية فهم الكيفية التي يرتبط بها نسق اللغة بهذا الأنساق، وفهم طرق التفاعل بين كل هذه الأنماط من الملكات والذي يفرض على نظرية اللسانية اخذ نتائجه بعين الاعتبار الاندماج بصورة طبيعية في البحث الساعي إلى بلورة نظرية شاملة للذهن/ الدماغ لدى الإنسان، او ما أصبح يسمى اليوم نظرية ثورية للمعرفة (formal theory of cognition) تنسجم فيها الهندستان: الهندسة النحوية اللغوية وهندسة باقي الأنساق غير اللغوية داخل بيئة الذهن/ الدماغ المعرفية العامة.

وتقضي الكفاية المعرفية بان يكون النموذج النحوي ديناميا (dynamic) او فعليا، اي ان يصف عمليات إنتاج اللغة وفهمها لا يقتصر على البنيات الموجودة فيها. وهو وصف يحتاج إلى الذهاب إلى ابعد من تخصيص هذه البنيات (التركيبية والدلالية والصواتية وبعض مظاهر البنيات الخطابية). بوضعها في إطار اعم يأخذ بعين الاعتبار عمليات بناء التصورات والمقولة والتأويل في سياقات التفاعلي اللغوي الفعلي المتمثلة معرفيا.

وهذا يفرض علينا اقامه نوعين من التمييز.

تمييز النظريات التي تولي اهتماما كافيا للعمليات المعرفية المتعلقة ببناء التصورات (طبيعة التصورات وسماتها والعلاقات بينها)، وبالمقولة (بما في ذلك طبيعة الكيفيات التي يصنف بها الإنسان العالم إلى مقولات (ومن ذلك ما استدلت عليه نظرية النمط النموذجي (protoype theory) في مقابل التصور التقليدي الذي يعود، على الأقل إلى أرسطو، وبالتأويل (اي الكيفيات المختلفة التي نفهم بها الأوضاع ونتمثلها ذهنيا باعتماد وسائلنا المعرفية التي تتيحها المقولة وبناء التصورات، من النظريات التي تعتبر ذلك خارج حيز النظرية اللغوية.

تمييز النظريات التي تفترض ان النسق اللغوي يشترك في الكثير من الخصائص مع أنساق معرفية آخر ى (منها خصائص الصورية المتعلقة بتصميم الملكات وهندستها)، من النظريات التي تنظر إلى اللغة باعتبارها مختلفة جوهريا عن باقي الانفاق المعرفية.

ان من اهم ما يعنيه الربط بين مجالين علم اللغة والعلوم المعرفية، اذن المجالين يقيدان بعضهما بعضا. وذلك من حيث

وهذه الوجهات ثلاث تهم ثلاث نظريات هي:

- نظرية القدرة التي تسعى إلى التخصيص الوظيفي لمعطيات البنيوية المخزنة والمجمعة في .الذهن الوظيفي خلال الاستعمال اللغوي.
- نظرية الانجاب التي تسعى إلى التخطيط الوظيفي لاستعمال هذه المعطيات البنيوية خلال إدراك اللغة وإنتاجها.
- نظرية التمثيل العصبي التي تسعى إلى تخصيص الكيفية التي تتحقق بها في الدماغ المعطيات البنيوية والعمليات التي تخزنها وتجمعها.

ومن الأهمية بمكان ان يعتبر التمييز بين هذه النظريات ناعما او منهجيا فحسب، وليس ايديولوجيا صارما او وثوقيا، كما عند الكثير ممن ينعتهم مارتنرز 2005، كما سنرى بالأفلاطونيين من اتباع التيار التوليدي الرئيس منذ سبعينيات القرن الماضي على وجه الخصوص.

اما مستويات الربط الثلاثة فهي:

أ- مستوى صوري، يتعلق باللغة من حيث هي نسق المعرفي مخزن في ذاكرة المتكلم وذلك في صورة بنيات صورية ذات واقعيه نفسية، اي توافق كيانات موجودة بالفعل في اذهان المتكلمين.

ب- مستوى وظيفي / نفسي، يتعلق بقيام النسق اللغوي على معرفة المخزنة في ذاكرة وعلى عمليات تحليلية تأليفية تشتغل عند إنتاج اللغة وإدراكها .

ج- مستوى عصبي، يتعلق بالكيفية التي يحقق بها الدماغ المعرفة اللغوية وتحليلها التأليف.

ورغم ان ربط اللسانيات بالعلوم المعرفية يبرز غنى التدخل والتفاعل بين مستويات البحث الثلاثة هذه (الصوري والنفسي والعصبي). فان الكثير من اللسانيين التوليديين غالبا ما اعتنوا بالمستوى الصوري، الذي يوافق نظرية القدرة، على حساب باقي المستويات.

وكانت مثل هذه المواقف، كما يلاحظ وهو من المنتسبين إلى التيار التوليدي التقليدي الباحثين في نظرية القدرة أساسا، عائقا يحول دون دمج اللسانيات في العلوم المعرفية، لأنها تعطي للنظرية الصورية الأسبقية غير مبرره على الحجج التجريبية، بالنظرية عن مصدر رئيس من مصادر الإبطال.

يتساءل مارنتز(2005) : هل ينبغي ان تكون النظرية اللسانية التوليد مسؤوله عن محدودة الظواهر التي تكشف عنها المعالجات النفسية والعصبية للغة ؟

يلاحظ ان هناك جوابا معتادا لمثل هذه الأسئلة في مفاده ان تمييز القدرة من الانجاز بقي النظرية اللسانية من هذا النوع من الأدلة. ويسمح بوجود علم للغة مستقلون عن النحو والتوليدي. وهكذا،ه سيتعامل لسانيون، الذين يدرسون القدرة، مع حدوث المتكلمين بصدد (احكام) النحوية (grammaticality) (في المقام الأول). بينما يبني العلم العصبي المعرفي اللغة نظريات تتنبأ بالمدة الزمنية التي تستغرقها ردود الأفعال، وبعمليات تنشيط الدماغ.

ويبين مارتنز أن مثل هذا الراي لا يكون له معنى الا إذا كانت اللسانيات لسانيات أفلاطونية على غرار ما دعى إليه كانت (1981) مثلا، ولسان الافلاطوني لا يعتمد في التحليل النحوي الا على محدودة معينة من الحدوث. وينفي مارتنز هذا الراي قائلا:

"الا ان معظم علماء اللغة المعاصرين يتكررون ينكرون الافتراضات الأفلاطونية، وكل النظريات الحالية تتأسس على المنهجية العلمية المعيار. وليس على المنهجية الافلاطونية.

وليس على المنهجية الأفلاطونية. وهذا يعني أنه على الرغم من ان الأفلاطونية وحدها تبرر التأويل المعوذ (والخاطئ الثنائية القدرة / الانجاز، فان لسانية التوليد هي ليست أفلاطونية، ولم تكن كذلك ابدا. لا في النظرية ولا في التطبيق والخلاصة مفردا، ان تمييز القدرة عن الانجاز، ايا كان ما يراد فعله به. لا يقين اللغويين من اي نوع من المعطيات، كما لا كما لا يقين علماء الأعصاب المعرفيين مما تكشف عنه نظرية اللغوية. ان التصور الاصلي للنحو التوليدي المتجذر في العلوم في العلم المعرفي يكمن وراء نجاحات ما في لغة ما. هي حدوث المتكلمين بصدد الجمل للسانيات، ويعتبر، في الوقت نفسه، أساسا سليما لاندماج العلمي العصبي وعلم اللغة المعرفي. ويبدو ان الخلطة الرئيس في هذه القضايا ينبع من سوء فهم للأدلة المستخدمة في اللسانيات التوليدية المعيار.

في اللسانيات الأفلاطونية، تعد اللغة. وهي هدف النظرية اللسانية، موضوعا مجردا يملك بصدده المتكلمون حدوسا، ومن ثمة تكون النظرية على نحو ما في لغة ما، هي حدوس المتكلمين بصدد الجمل التي يمكن ان تنتمي إلى لغة. ويمكن ان تكون هذه الحدوث احكاما متعلقة بالنجوية او بالترادف او بالاستلزام المنطقي. اما معطيات السلوك مستقاة من الانجاز في إنتاج اللغة وفهمها فغير واردة في النظرية اللسانية الحقيقية. وتندرج في مجال حقل اللسانيات النفسية المستقل. وكما لاحظنا انفا. فان اللسانيين التوليديين ليسوا افلاطونيين، وهم لا يخضعون في عملهم للقيود التي تضعها الافلاطونية على النظرية اللسانية.

يسعى علم اللغة المعرفة إذا إلى رصد موحد لبنية اللغة وكيفية تحليلها (processing)، وكيفية تحقيقها في الدماغ. ويقتضي هذا الرصد، كما اوضحنا في مستهل هذه الفقرة بخصوص المستويات الربط المعرفي ثلاث نظريات فرعيه على الاقل. وهي مع تسميات رائد كبير من رواد العلم المعرفي هو ديفيد مار (D Marr) 1982 كالتالي :

- نظرية للتمثيلات: وتهم بنيات المعطيات المخزنة في الذاكرة وتلك التي تبنى شبكيا (online)، وتوافق النظرية الحاسوبية عند مار، ونظرية القدرة عند تشومسكي(1965) .
- نظرية للتحليل: وتهم الهندسة (الافتراضية) الخاصة بمحلل (processor) اللغة، وكيفية اشتغال التمثيلات في الزمن الواقعي الخلق بنيات جديدة، وكيفيات اكتساب التمثيلات المخزنة. ويسعى مار هذه النظرية نظرية خوارزمية.
- نظرية للحوسبة العصبية: وتهم كيفية تحقيق إليه نظرية تحليل في الدماغ. وينبغي ان يشمل ذلك، على المدى البعيد، ليس فقط رصدا لتوضع (localization) الدماغ، بل أيضا لتفاصيل دقيقه، كالكيفية التي يميز بها الترميز العصبي صوتا مثل من صوت مثل د وكلمه مثل ق من كلمه مثل كلب. ويسمي مار هذه النظرية نظرية التحقيق.

ومعلوم ان مار قد ألح، وهو ما لم يفعله على انها هذه النظريات يجب ان تدمج في بعضها البعض. ويجب ان تكون نظريتنا التحليل والتحقيق العصبي غنيتين بما فيه الكفاية لتحمل ما يفترض من تمثيلات، ويجب ان تكون النظرية التمثيلية ت، في المقابل ال، مناسبة لما يفترض من آليات تحليلية وتحقيق عصبية وعندما تتعارض النظريات فلا توجد نتيجة محددة سلفا تفيد اي نظرية تسود. مثال ذلك ان نظرية القدرة التي يبنيها اللساني لا ينبغي ان تكون في مأمن من الأدلة المستحقة من الانجاز. ولكن لا ينبغي أيضا ان تكون نظرية الحوسبة العصبية في مأمن من الأدلة المستقاة مما تتطلبه نظرية كافية للتمثيل اللغوي.

ومثل ما يجب ان تسعى نظرية التمثيل والتحليل اللغوية إلى الدمج بين النظريات الصوافية والتركيبية والدلالية، يجب ان تسعى نظرية الملكة اللغوية إلى الدمج بين هذه النظرية ونظريات الملكات الذهنية الأخرى. كما يجب، بطبيعة الحال، ان يراعي هذا الدمج التفاصيل خاصة بكل ملكة مفردة من الملكات.

يمكن ان نستخلص مما سبق ان دمجه اللسانيات في العلوم المعرفية، اي دمج اللغة في بيئتها المعرفية الطبيعية، يقوم ليس فقط على العلاقة العضوية بين الدراسة الصورية للقدرة اللغوية ودراسة خصائصها النفسية والعصبية، بل على علاقتها أيضا بدراسة كل ملكات الذهن/الدماغ (لدى الإنسان والحيوان)، وعلى كافة المستويات، بما في ذلك البنيات المعرفية غير اللغوية التي قطع البحث في خصائصها اشواطا مهمة كالبنيات الفضائية –البصرية، والموسيقية، وبنيات العمل المركب، والمعرفة الاجتماعية، وغيرها. وهو ما يعني تصور بنية الملكة اللغوية (الصورية والنفسية والعصبية بالنظر إلى بنيات باقي ملكات الذهن /الدماغ، اي بالنظر إلى البيئة المعرفية التي تولد فيها اللغة.

ان معالجة ملكته ذهنية معينة على انها ملكة منفصلة، بخصائص متميزة لا يتطلب عزلها عن بقية ملكات الذهن. والا فمن المؤكد ان اللغة، مثلا، ستكون عديمة الفائدة بدون صلاتها بالفكر والإدراك والعمل، مثل ما ستكون ملكة العدد عديمة الفائدة بدون تصور للأشياء المعدودة.

وتقتضي دراسة هذا التعالق بين الملكات المعرفية والإدراكية المتوازية المتفاعلة، دراسة خصائص الوجهات (interfaces) الواصلة بينها. وتقتضي فيما بينهم الملكة اللغوية دراسة خصائص وجاهاتها، سواء الواصلة بين المكونات (الصواتية والدلالية والتركيبية) المتوازية داخل الملكة اللغوية، او الواصلة بين الملكة اللغوية والملكات المعرفية والإدراكية الأخرى التي توازيها.

وتجدر الإشارة إلى ان هذه الوجهات رغم الاهتمام الذي حظيت به في بعض الأطر النحوية المختلفة من حيث علاقتها بخصائص القدرة اللغوية، كما في البرنامج الأدنوي (عند شومسكي منذ 1995. ونموذج رين هارت (2006). مثلا، فإننا لا نجد داخل هذه الأطر تحديدا واضحا وكافيا لخصائص هذه الوجهات التي تتصل بها القدرة اللغوية. وما دامت هذه الخصائص الذاتية غير محددة بما يكفي. فلا يمكنها ان تلعب دورا واضحا ومحددا في تقييد تصور القدرة اللغوية داخل الأطر المعنية.

وفي مقابل مثل هذه الأطر التي تطبعها محاولات لتحديد خصائص الوجهات تعتبر في أحسن الأحوال غامضه وغير محددة في. كما يقول لودلو Ludlow، او محاولات لا تتجاوز الاستكشاف كمحاولة لودلو نفسه. نجد ان دراسة هذه الخصائص الوجاهية وطبيعتها وتقييدها للنظرية النحوية. من اولويات اطر نظرية آخر ى بديله. اولها نظرية الدلالة دلالة التصورية (او التوازي النحوي التي طورها راي جاك اندو منذ اواخر سبعينيات القرن الماضي. والتي قطعت اشواطا مهمة في فرز ام ساقي وجاهية رئيسة وتحديد اولوياتها ومبادئ تأليفها وكيفيات تفاعلها مع القدرة اللغوية، حتى لا تبقى الوجهات مجردة نظرية لكل شيء، بتعبير (2014. وتنبني في تصورنا لبنية اللغة وعلاقتها ببنية .الذهن / الدماغ البشري، اهم المبادئ الجوهرية لنظرية التوادي هذه، إضافة إلى مبادئ بعض الأطر النظرية الأخرى الموافقة لنفس التصور.

لقد كان الترابط بين دراسة الملكة اللغوية ودراسة باقي ملكات .الذهن / قديمة، رقم التخلي عنه إلى حد كبير داخل التيار التوليدي التقليدي بزعامة شومسكي، من أسس مشروع الثورة المعرفية الأولى في خمسينيات القرن الماضي. كما كان، من حيث المبدا، مشروع اللسانيات التوليدية في مراحل تأسيسها في خضم هذه الثورة. ويظهر ذلك، مثلا، في قول شومسكي (1965: لنلاحظ اننا لا نقصد، طبعا، ان وظائف اكتسابي اللغة تنجزها مكونات من عرضه تماما في الذهن المجرد او الدماغ الفيزيائي (ان في الواقع، فمن مشاكل علم النفس المهم ان تحدد إلى اي مدى تقتسم مظاهر آخر ى لمعرفة خصائص اكتساب اللغة واستعمالها، وان نحاول على هذا النحو تطوير نظرية للذهن اغنى واوسع.

أ) في المستوى الصوري:

يمكن رصد البنيات الذهنية (او التمثيلات الواردة في قدرات معرفية آخر ى كالبصر والموسيقى ونسق العمل ونظرية .الذهن والمعرفة الاجتماعية. ومن الأسس التي يقوم عليها هذا الربط بين دراسة التمثيلات اللغوية وتمثيلات الملكات المعرفية الأخرى ال، البحث في المظاهر التمثيلية التي تشترك فيها القدرة اللغوية والقدرات الأخرى، كالبينية سلمية، والمكونات المرؤوسة، والتكرار اللامحدود. وتمثيل المتغيرات، والتوازي، وذلك بهدفي بناء نظرية صورية للمعرفة. كما اشرنا انفا، تنسجم فيها الهندسة النحوية اللغوية مع الخصائص الهندسية الملاحظة في باقي الأنساق غير اللغوية داخل بيئة الذهن / الدماغ المعرفية العامة.

ب) في المستوى النفسي فاصل الوظيفي

وتمكن الإجابة في هذا المستوى عن أسئلة من أبرزها إلى اي حد توجد موازاه بين خصائص الذاكرة اللغوية والتحليل اللغوي ال، وخصائص قدرات آخر ى مماثلة في درجة التعقيد. كفهم المجالات البصرية المركبة، وكتخطيط للأعمال متعددة المراحل وانجازها، وكرت تجاري النغمات الموسيقية. فما دام يبدو ان اللغة تستعمل آليات عامة المجال كالذاكرة، والتعلم، والانتباه، وتجميع بنيات مركبة في مستويات تمثيل متعددة، يصبح بالإمكان تحديد كمية عناصر القدرة اللغوية التي تستخدم أيضا في مساج الذهني العام.

ت) في المستوى العصبي

ويمكن البحث في هذا المستوى في قضايا من قبيل. هل هناك ما تختص به مناطق اللغة في الدماغ ؟ هل هي مخصصه للغة فقط، ام تشترك فيها قدرات آخر ى كالتحكم في اليدين او البناء السلمي زمني الموظف في اغراض معرفية عامة ؟

ث) في المستوى الاحيائي التطوري

ويتعلق بالاختلافات المعرفية بين البشر والكائنات الأخرى، وهي اختلافات نتجت عن الفرق بين بنية الدماغ المنبثقة عن تفاعلي النظام الوراثي (الجيني) وعمليات التطور الاحيائي خلال ما يزيد عن حوالي سته ملايين سنة. وما دامت القدرة اللغوية من الاختلافات الجوهرية المذكورة، فإنها تنتمي بذلك إلى مجال الدراسة الإحيائية والنفسية التطورية فيه.

وتظهر هذه المستويات الصورية والنفسية / الوظيفية والعصبية، أيضا، في أسئلة اكتساب اللغة. ففي المستوى الصوري، يمكن ان نتساءل عن الوحدات المعجمية وقواعد النحو التي يكتسبها الطفل في كل مرحلة من مراحل الاكتساب، ونتساءل عن المعرفة التي يجب ان يمتلكها الطفل حتى يكون قادرا على اكتساب اللغة. وفي المستوى الوظيفي / النفسي، يمكن ان نتساءل عن البناء التدريجي للذاكرة اللغوية وللصاق

القواعد التحليلية التأليفية الخاصة باللغة لدى الطفل وفي المستوى العصبي، يمكن ان نتساءل عن التغيرات التي تلحق الدماغ الطفل خلال مراحل الاكتساب اللغوي.

وتريد أسئلة لاكتساب اللغوي هذه العرض بنفس الصيغة في حاله قدرات (او ملكات) معرفية آخر ى كالموسيقى والمعرفة الاجتماعية وغيرهما. فيمكن تناول مسارات اكتساب هذه القدرات مقارنه بمصاري اكتساب اللغة، وتبين خصوصيات اكتسابها في المستويات المذكورة، وعلاقات التأثير والتأثر الممكنة بينها في كل ذلك.

المراجع :

- Butler, C S 2008, Cognitive adequacy in structural functional theories of language. Language Sciences 30, 1-30
- Chomsky, N 1957
- Chomsky, N, 1965, Aspects of Theory of Syntax, MITS Press
- Chomsky, N, 1995, The minimalist Program, MIT Press, Cambridge, MA
- Chomsky, N, 2005, Three Factors in Language Design, Linguistic inquiry, V 36, N I
- Dki SC, 1997a, The Theory of Functional Grammar, Part I: The Structure of the Clause (Functional Grammar Series 20), second ed, (Edited by K, Hengeveld), Mouton de Gruyter, Berlin and New York.
- Dik S !C, 1997 b, The Theory of Functional Grammar, Part 2 : Complex and Derived Constructions (Functional Grammar Series 21), Edited by K. Hengeveld, Mouton de Gruyter, Berlin and New York.
- Hengeveld, K, 2004, Epilogue, in : Mackenzie J I, Gomez Gonzalez, M I A (eds), … 365-378.
- Hengeveld, K, Mackenzie, J L, 2009, Functional Discourse grammar Oxford University Press, Oxford.
- Jackendoff, R 2007a, Language, Consciousness, Culture, Essays on Mental Structure, MIT Press.
- Jackendoff, R, 2007b, Linguistics in cognitive science. The state of the art, The Linguistic Review 24, pp 347-401.
- Jackendoff, R and Audring, J, 20016, Morphological schemas, Theoretical and psycholinguitic issues, !the Mental Lexiom 11:3, pp 467-493
- Katz J, 1981 , Language and other abstract objects, Totowa, N J: Rowman and Littlefield.
- Kohhonen K, and Caracciolo, M 2014, introduction: what is the second !generation, style, V 48 N 3.
- Kolg B, and Whishaw, I, 2015, Fundamentals of Human Neuropsychology, 7th edition, Worth Publishers, New York.
- Lakoff G and Johnson, M 1999, Philosophy in the flesh. The embodied Mind and its Challenge to Western Thought, Basic Books.

- Lenneberg, Eric H 1967, Biological Foundations of language, John Wiley and Sons, Inc, New York.
- Ludlow, p 2014, recursion, Legibility, Use, in : Roeper, !t and Speas, M (eds), Recursion: Complexity in Cognition, Springer International Publishing.
- Mackenzie, J L, Gomez – Gonzalez, M L A, 2004, A New Architecture for Functional grammar (Functional Grammar Series 24), Mouton de gruyter, Berlin and New York.
- Marantz, A 2005, Generative linguistics within the cognitive neuroscience of language, The linguistic !review 22, 429-445.
- Marr, D, 1982/ 2010, Vision, !a Computational Investigation into the Human Representation and Processing of Visual Information, The MIT Press. (Originally published in 1982 by W. H Freeman and Company).
- Meader C L and Muyskens, J H 1950, Handbook of Biolinguistics, Part one: The Structures and Processes of Expression, with General Introduction to Biolinguistics, Published by H C Weller, Sc D Toledo !speech Clinic, Inc. Toledo 2, Ohio.
- Reinhart, T, 2006, Interface strategies: Reference-set computation. MIT Press, Cambridge, MA.